التناسب في سور المفصَّل

أ.م.د. محمد سعيد حسين مرعي **لمية عايد حسن**
استاذ مساعد
كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت

الملخص

اختصّ هذا البحث الموسوم بـ(التناسب في سور المفصّل) بموضوع الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في سور المفصّل تحديداً، فهو يؤكد على الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال ثلاثة أنواع من المناسبات، أمّا النوع الأوّل فهو التناسب بين اسم السورة ومضمونها والذي أكّد على أنّ مفتاح السورة يكمن في اسمها، فهو يمثّل العلامات والدلالات المتضمّنة للنظم القرآني، وفيه أسرار بلاغية كثيرة يمكن الوقوف على بعضها، وأسرار أخرى لا يعلمها إلاّ الله، فضلاً عن الصور الجمالية والإبداعية التي يضيفها للسورة القرآنية.

والنوع الثاني هو التناسب بين موضوعات السورة ومحورها والذي أكّد على أنّ كل سورة في القرآن الكريم لها محور واحد، أو أكثر تدور حوله عدة موضوعات ولها جوّها الخاص الذي يظلل كلّ موضوعاتها بما يحقق التناسب فيها على وفق وحدة جامعة، وذلك يمثل مظهراً من مظاهر وحدة السورة وتماسكها؛ لأنّه يشكّل رابطاً عضوياً لكلّ موضوع فيها؛ إذ إنّ لكل سورة أهدافها، ومقاصدها، ووحدتها الخاصة بها غير وحدة السورة التي تسبقها أو تليها.

أمّا النوع الثالث فهو التناسب بين القصص وموضوعات السورة والذي أكد على أنّ لكلّ قصة في القرآن الكريم وظيفة معيّنة في السورة؛ فيأتي في كلّ منها ما يناسب موضوعها، وأهدافها، وجوّها العام؛ وذلك لأنّ الغرض من القصة القرآنية هو العضة والاعتبار.

التناسب لغة: المشاركة، والمشاكلة، والمقاربة، وفلانٌ يناسب فلاناً، أي: يقرب منه ويشاركه، ومنه النسيب الذي هو القريب المتّصل كالأخوين، وابن العمّ ونحوه[i].

التناسب اصطلاحاً: ((هو البحث عن أوجه الترابط بين أجزاء الآية، أو بين الآية وجارتها، أو بين الآيات في مجموع السورة الواحدة، أو بين السورة والسورة))[ii]،

فهو علمٌ يربط بين السور والآيات والكلمات؛ حتى تبدو كأنّها حبّات عقدٍ واحدٍ، وأعضاء كائن حيّ، وأجزاء بنيان متّصل؛ فعليه تدرك الهدايات في أعلى صورها، وتتضح المناسبات بين أجزائها، وتبدو أغراضها ومراميها، والمقاصد التي سيق كلّ ذلك لأجلها[iii].

فالقرآن الكريم متناسب في آياته وسوره وأجزائه بترابطٍ خاصٍّ قد يكون عامّاً أو خاصّاً، عقليّاً أو حسّياً أو خياليّاً، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كـ(السبب)، والمسبب، والعلّة، والمعلول، والنظيرين، والضدّين[iv].

وأوجه المناسبات ((عامة لا يقتصر البحث فيها على ترتيب الآيات والسور، وإيجاد علاقات ارتباطاتهما، بل تتعدّى ذلك إلى تباين العديد من وجوه نظم الآيات؛ بما يترتّب على ذلك من تقديم وتأخير، أو تناسب لفظي لمعاني كلماتها، أو التئام مقاطعها وما انتهت إليه من فواصل، أو غير ذلك من النكت البلاغية، والسياقية))[v].

فعلم المناسبة عرف علماً من علوم القرآن كما عرف فنّاً من فنون علم البديع[vi]، وهو في غاية الدقة والنفاسة؛ لذا فإنّه لم يحظَ بوافر عنايةٍ كغيره من علوم القرآن لقول الإمام السيوطي: ((وعلم المناسبة علمٌ شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقّته))[vii]. فهو يحتاج إلى مزيدٍ من التدبّر والتفكّر؛ للوقوف على هذا التلاحم القرآني العجيب، المحيّر والمعجز، وهذا لا يقدر عليه إلاّ من فتح الله عليه من أبواب علمه، وخصّه بحظٍّ وافر من قدرةٍ وفطنة، وأوّل من صنّف في هذا العلم ببغداد هو الإمام أو بكر النيسابوري[viii]، وكان يقول إذا قُرِئ عليه ((لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه الآية، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة، وكان يزري على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة))[ix].

وقد اختلف العلماء في حكم تطلّب المناسبات في القرآن العظيم، فذهب البعض إلى عدم جوازه؛ لأنّه من التقوّل على الله بغير علم، وذهب آخرون إلى جوازه وأنّه علمٌ حسن، وقد وضع د. محمد بن عمر شروطاً في جواز طلب المناسبات في القرآن وهي[x]:

١. أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق والسابق واللاحق.
٢. أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع .

٣. أن لا تكون متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم.
٤. أن لا يجزم المفسّر بأنّ هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، وإنّما هو ما أدّاه إليه اجتهاده ونظره وتدبّره.
٥. أن يعلم أنّ المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كلّ موضعٍ لكلّ أحد.
٦. أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد.
٧. ويشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بالرأي؛ إذ هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً به.

أهميّة علم المناسبة[xi]**:**

١. إنّ هذا العلم يبرز جانباً من أسرار القرآن الكريم وصورة من إعجازه؛ لقول الرازي: ((القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته))[xii]؛ فعلم المناسبة يحثّ المفسّر على تدبّر نظم الآيات والسور وإدراك الصلة فيما بين الآية والآية، والسورة والسورة؛ للوقوف على مقاصدها، وبذلك يزداد علماً وتفهّماً لآيات الله ﷻ.
٢. إثبات الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم؛ فالقرآن ((كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني))[xiii]، ووظيفة التناسب هي تحقيق تماسك النصّ القرآني؛ لإثبات وحدة القرآن كله.
٣. إنّه وسيلة من وسائل ترسيخ الإيمان في القلب، وتمكينه من اللب؛ وذلك لأنّه يكشف الإعجاز بطريقتين[xiv]:
الأولى: نظم كلّ جملة على حالها بحسب التركيب.
الثانية: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب.
٤. إنّ التناسب ينفي التكرار في القرآن الكريم؛ ليثبت بأنّ كلّ كلمة أو آية أو قصة يراعى فيها التناسب، وارتباط النظائر والأشباه؛ لقول محمد الغزالي: ((فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتكشف لك فريد الفائدة في إعادته))[xv].
٥. يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، فأحياناً يُشكل فهم آية من الآيات، وعند البحث عن المناسبة بين هذه الآية وخاتمة السورة نجد القول مذكوراً أحياناً في الخاتمة؛ فهو يعالج مواضع انقطاع الآي عن بعضها، ليشرع المفسّر في البحث عنها.
٦. يوقفنا علم المناسبة على مقاصد سور القرآن الكريم؛ ليبيّن بأنّ لكلّ سورة مقصدها وموضوعها الذي تدور عليه معاني هذه السورة وإن تباينت فيما بينها؛ ممّا جعله ركناً أساسيّاً في فنٍّ جديدٍ من فنون التفسير وهو التفسير الموضوعي،

ومن المفسّرين الذين أشاروا إلى العديد من اللطائف في هذا المقام الرازي في قوله: ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))[xvi].

٧. علم المناسبة يثبت تلاحم المكّي والمدني في السورة الواحدة والقرآن كلّه، وإنّهما متعاضدان في إبراز الخطاب القرآني، فكلاهما مبني على الآخر في التوقيف والترتيب الإلهي وإن تفرّقت أسباب نزولهما؛ ذلك لأنّ ترتيب السور توقيفي؛ بمعنى أنّ النبي ﷺ تلقّاه عن جبريل عليه السلام، وتلقّاه عنه الصحابة؛ فقد كان جبريل عليه السلام ((يوقف رسول الله ﷺ على موضع الآية وعلى موضع السورة))[xvii]؛ وعليه فلنعلم أنّ الله ﷻ ما قدّم هذه السورة على تلك، وما استفتح بهذه الآية هذه السورة، وما ختم تلك السورة بكذا إلاّ لمناسبةٍ قد تظهر حتى يعلمها المتدبّر للقرآن الكريم، وقد تدقّ حتى تكاد لا تعلم أو لا يمكن العلم بها على وجه اليقين.

التعريف بسور المفصّل:-

سور القرآن الكريم على أربعة أقسام هي: الطول، والمئون، والمثاني، والمفصّل، وقد جاء ذلك في حديث مرفوع عن النبي ﷺ قال فيه: ((أعطيت السبع الطول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصّل)) [١٨]

والمفصّل هو: مجموعة السور الأخيرة من القرآن الكريم مبتدأة من سورة (ق) ـ على الأرجح ـ وتنتهي بسورة (الناس)، فهو يمثل السبع السابع من القرآن الكريم.[١٩]

وفي سبب تسميته بالمفصّل للعلماء أربعة أقوال[٢٠]:

الأول: لفصل بعضه عن بعض (بالفاصلة القرآنية).

الثاني: لكثرة الفصل بين آياته بـ (بسم الله الرحمن الرحيم).

الثالث: لإحكامه.

الرابع: لقلة المنسوخ فيه.

وفي مبدأ سور المفصل عشرة أقوال أشهرها قولان[٢١]:

الأول: أن أول سورة: سورة (ق).

الثاني: سورة الحجرات.

والصحيح القول الأول، لما روي عن النبي ﷺ قوله: ((وحزب المفصل من ق حتى يختم))[٢٢] ـ يعني القرآن ـ ولرواية أبي داود في سننه عن أوس بن حذيفة قال: ((سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشر، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده))[٢٣].

ويمكن تقسيم المفصل إلى ثلاثة أقسام هي[٢٤]:

١. طوال المفصّل: تبدأ من سورة ق وتنتهي بسورة النبأ.

٢. أوساط المفصّل: تبدأ من سورة النبأ، وتنتهي بسورة الضحى.

٣. قصار المفصّل: تبدأ من سورة الضحى، وتنتهي بسورة الناس.
ولقد ضم ابن خالويه ـ النحوي ـ الفاتحة إلى سور المفصّل فقال: ((هذا الكتاب ذكرت فيه إعراب ثلاثين سورة من المفصّل)) [٢٥].
ولقد كان رسول الله ﷺ يقرأ سور المفصّل في ((المجاميع: لاشتمالها على ابتداء الخلق، والبعث، والنشور، والمعاد، والقيام، والحساب، والجنة، والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب))[٢٦]،ويبلغ عدد سور المفصّل خمس وستون سورة، ست عشرة منها مدنية، والباقي مكية.

التناسب في سور المفصّل

من أجل بيان أهمية التناسب في سور المفصّل، ارتأينا أن نقسمه على ثلاثة مطالب[٢٧] ؛

١. ***التناسب بين اسم السورة ومضمونها:***

إنّ لكلّ سورة من سور القرآن الكريم اسماً أو أكثر تعرف به منذ أن نزلت وإلى أن تقوم الساعة، ويعدّ هذا الاسم جزءاً من تفسير السورة كلها، فهو عنصر مهم في إدراك مقاصدها[٢٨] ؛ لأنّ ((من عرف المراد من اسم السورة؛ عرف مقاصدها، ومن حقق المقصود منها؛ عرف تناسب آيها وقصصها، وجميع أجزائها))[٢٩].

يقول الزركشي: ((ينبغي النظر في وجه اختصاص كلّ سورة بما سمّيت به، ولا شكّ أنّ العرب تراعي في الكثير من المسمّيات أخذ أسمائها من نادرٍ أو مستغرب يكون في الشيء من خلقٍ أو صفة تخصّه... ويسمّون الجملة من الكَلام، أو القصيدة الطويلة بما هو أشهرُ فيها؛ وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز))[٣٠].

ثم إنّ اسم كلّ سورة يترجم عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيء يناسب مسمّاه من عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه[٣١].

والحقيقة أنّ أسماء السور في القرآن الكريم تمثّل العلامات، والدلالات المنظّمة والمنسّقة للنظم القرآني؛ ليبدو وكأنّه قطعة واحدة مرتّبة ومنسّقة ليس فيها خلل أو تصدّع، بل صورة فنّية متكاملة، ولو جاء كتلة واحدة متّصلة دون أسماء، وأقسام، وأجزاء متناسقة؛ لَما كانت صورته البديعة الجميلة كما هي الآن، ولَما تجلّت بلاغته في ترتيب معانيه وتناغمه، ولما استطاع الصحابة، والناس من بعدهم حفظه ومعرفته، والعمل به بهذا الشكل اليسير[٣٢].

ولقد وضع د. سيف الجابري ثلاث دلالات تشير إلى أهمّية هذه الأسماء وهي[٣٣]:

١. تعدد الموضوعات التي جاء بها القرآن الكريم: ومعرفة اسم السورة يساعد على جمعها في الموضع الواحد.
٢. تنوّع الأسباب لنزول القرآن الكريم حسب الحوادث والوقائع: وتجرّدها من اسمها يصعّب معرفة ذلك.
٣. الصورة الجمالية من خلال الفنّ الإبداعي وتذوّقه في القرآن، ولولا هذه الأسماء؛ لأدى إلى إخلال بجمال التعبير.

ولقد تميّزت السورة القرآنية بقوّة الترابط بينها وبين أسمائها؛ ممّا جعل لهذه الأسماء معنىً عظيماً في تقسيم السورة، وسهولة ترتيب أجزاء القرآن الكريم؛ ولهذا فإنّ مهمة المفسّر إظهار إعجاز القرآن من خلال هذا الترابط الجميل، واستنباط المعاني الكامنة في دلالاته الإشارية المختلفة[٣٤]. وعليه ينبغي تحقيق التماسك الدلالي بين الاسم والمضمون في السورة الواحدة؛ على أساس أنّ مفتاح السورة هو اسمها، وهو الرمز الاستعاري المكثّف لدلالتها، وفيه تنبيه للقارئ على المحور الرئيس منها، كما أنّ فيه تعضيداً لمقصد الخطاب[٣٥]. فالسورة التي تتصل بيوم القيامة كـ(الواقعة، الحاقة، القيامة، النبأ، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الغاشية، الزلزلة، القارعة) نجد أنّ كلّ هذه الأسماء هي مسمّيات ليوم القيامة أو أوصاف لها وهي بمثابة عناوين لتلك السور التي عرف مقصودها من خلال اسمها.

وسنتناول بالدراسة السور المفتتحة بالحروف المقطّعة؛ لبيان ما أبهم فيها من أسرار، ولتوضيح ارتباطها بمضمونها يقول الزركشي: ((فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كلّ سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها))[٣٦] ؛ لأنّ أمر التسمية القرآنية ليس هو مجرّد ذكر لاسم تلك السورة وإنّما لها أسرار بلاغية، وإعجازية تحتاج إلى دراسة متأنية لاستقصائها، وسأخصّ بهذه الدراسة سورة (ق) وسورة (ن)؛ لأنّهما من سور المفصّل، وبداية فإنّ هاتين السورتين من السور التي سمّيت بأسماء الحروف الواقعة في ابتدائها؛ لانفراد كلّ سورة منها بعدد الحروف الواقعة في أوائلها؛ بحيث إذا دعيت بها لا يمكن التباسها بسورة أخرى[٣٧]، فلو نظرنا إلى كلّ سورة منهما نجد أنّ هذه الحروف أكثر عدداً في كلماتها منها في نظيرتها، ومثيلتها، كما أنّ كلّ معاني السورة مناسب لما في هذين الحرفين؛ فهما يحيطان بسورهما إحاطة تامة.

فلو نظرنا إلى سورة (ق) نجد أنّ مقصودها (إثبات القدرة) لقول البقاعي: ((مقصودها الدلالة على إحاطة القدرة التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات من إحاطة العلم لبيان أنّه لابدّ من البعث يوم الوعيد))[٣٨]، والقاف وحدها أتمّ دلالة على ذلك من خلال[٣٩]:

١. مخرجها المحيط بالمخارج الثلاث: الحلق، واللسان، والشفاه؛ فهو يخرج من أصل اللسان ممّا يلي الحلق، ويحاذيه من الحنك الأعلى، فهو يشير إلى العلوّ؛ والإحاطة بالحق لا تكون إلاّ مع العلوّ.
٢. صفتها: فإنّ لها الجهر، والشدة، والانفتاح، والقلقلة، والاستعلاء؛ والله وحده المحيط علماً، وقدرة، بما له من العلوّ، والشدة، والقوة، والقيومية، والقهر، ونفوذ القضاء.

ولا تخرج آيات هذه السورة عن أحد هذه الصفات؛ فهي مبنية على الكلمات القافية مثل: القرآن، الحقّ، الإلقاء، التنقيب، التشقق... بل إنّ معاني هذه السورة مناسب لما في حرف القاف من صفات نحو قوله تعالى:
چڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ چ چ ق: ٤← إحاطة علم وعظمة وقدرة وقيومية وقهر.
چچ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ چ ق: ٦← علوّ وشدة وقوة وقدرة وقيومية.
چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ ق: ١١← قدرة وقوة وقيومية.
چ ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ ق: ١٤← قوة وشدة وقهر وقدرة.
چ ڭ ڭ ڭ ۇ چ ق: ٤٥ ←إحاطة علم وتمام قدرة.
چ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ چ ق: ٤٥← شدة وقوة وقدرة.

فضلاً عن أنّ فواصل السورة كلّها تنتهي بأحد حروف القلقلة[٤٠]، والقاف واحد منها مثل: المجيد ـ عجيب ـ بعيد ـ بهيج ـ منيب ـ الحصيد ـ وعيد ـ جديد ... وهكذا.

ومن ثم فإنّ محور السورة كما قلنا: (إثبات القدرة) لذا جاءت مقدمة السورة في قوله تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ چ ق:١ ، أي القرآن الذي له العلوّ، والشرف، والكرم، والعظمة؛ ليعلمون ما أشارت إليه القاف من قوة الله، وعظمته، وإحاطة علمه، وقدرته[٤١]، ثم يأتي قوله تعالى: چپ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ ق: ٢ – ٣، ليعرض علينا موقف الكافرين من النذير ومن البعث، لتأتي بقية السورة لتردّ على ذلك، ولتثبت صفة القدرة لله ﷻ للوصول إلى: أنّ الله لا يعجزه أن يبعث عباده[٤٢] ؛ وذلك بتعداد آثار قدرته من قوله تعالى: چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ چ ق: ٦، إلى قوله: چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ ق: ١١، فهي نماذج تقيم الحجة للدلالة على البعث.

ثمّ تمضي السورة قدماً في ضرب أمثلة للكافرين المكذّبين من قبلهم؛ لبيان أنّ تكذيبهم ليس بدعاً في تاريخ البشر؛ لتقيم عليهم الحجة بالإنشاء الأوّل في قوله: چ ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ ق: ١٥، أي إنّا لم نعجز عن الخلق الأوّل فكيف نعجز عن الثاني؟ والاعتراف بذلك اعتراف بالإعادة.

وتجيء الفقرة التالية لتذكّر بعلم الله وقدرته وانتقامه: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ ق: ١٦، وقوله: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ ق: ٣٦، وعرضت السورة صورة من الحشر، والنشر، والحساب، ومن يربح، ومن يخسر، كلّ ذلك يدلّ على إحاطة قدرته ﷻ، لتأتي خاتمة السورة وتبدأ من قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ چ چ چ ق: ٣٨، وهي فقرة تذكّرنا بالله ومظاهر قدرته ثم قوله: چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ چ ق: ٤٣ ــ ٤٥.

وهكذا نجد أنّ السورة عالجت موضوع العجب من البعث والتكذيب من خلال إثبات قدرة الله ﷻ التي لا يحدّها شيء.

وأخيراً فإنّ السورة بدأت بالقسم بالقرآن بقوله تعالى: (ٱ ٻ ٻ) وختمت بذكره: (ۋ ۋ) ممّا يكشف عن سرٍّ جديد لحرف القاف بأنّه عني به القرآن الكريم؛ كونه أوّل حرف من حروفه والله تعالى أعلم.

وقد لاحظت الدكتورة عائشة عبد الرحمن أنّه ((ما من سورة بدأت بالحروف المقطعة إلاّ كان فيها احتجاج للقرآن، وتقرير نزوله من عند الله ودحض لدعاوي من جادلوا فيه مع التنظير لموقف المجادلين فيه بموقف أمم قبلهم كذّبوا))[٤٣].

وهذا السرّ ملاحظ في سورة (ق) كما هو الحال في سورة (ن) التي هي أوّل سورة جهر فيها بالتحدّي، والمعارضة، والتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن؛ بالإيماء بالحرف الذي في أوّلها، وفيه إشارة إلى التحدّي بمعجزة الأمّية بقوله تعالى: (ژ ڑ ڑ) والصلة واضحة بين حرف النون بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم والكتابة، فالقسم بالكتابة تعظيم لقيمتها، وتوجيه إليها في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلّم عن هذا الطريق، فكانت الكتابة فيها متخلّفة ونادرة، ثمّ إنّ من فوائد هذا القسم: أنّ هذا القرآن كتاب الإسلام وأنّه سيكون مكتوباً مقروءاً بين المسلمين((٤٤).

والنون: من الحروف الشديدة، المجهورة، المنفتحة، المنخفضة، وكلّ آيات السورة لا تخرج عن هذه الصفات، بل إنّ أغراض السورة، ومعانيها، ومقاصدها العامة تشترك أيضاً مع ذلك الحرف((٤٥)، نحو قوله تعالى:

چ ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں چ القلم: ٢ ــ ٤ ← جهر وانفتاح بوصف الحبيب ﷺ.

چ ٱ ٻ ٻ چ القلم: ١٦ ← جهر بمصير المعاند.

چ □ □ □ □ چ القلم: ٤٠ ← الزعامة قمة الجهر.

چ ڄ ڄ ڄ چ چ چ القلم: ٤٧ ← تصريح بجهلهم والكتابة من مسائل الجهر والإعلام.

چ □ □ □ □ □ چ القلم: ٤٢ قوة وشدّة وجهر بمصيرهم.
چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ القلم: ٤٥ قوة وشدة تناسب الجهر.
چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ چ القلم: ٥٠ جهر وانفتاح أعقب بطن الحوت.
وهكذا تمضي بقية السورة.

وقد انتهت فواصل السورة على الشكل الآتي:

و ن خمس وعشرون مرة، ين سبع عشرة مرة، يم سبع مرات، و م ثلاث مرّات، ممّا يدلّ على أنّ أكثر فواصل السورة كان نونيّاً.

والنون كما يقول البقاعي: ((حرف من حروف المعجم، وهو اسم لمسمّى به ظهور الأشياء، وعلمها، وإدراكها كما دلّ عليه موقعه في اسم النور والنار والنيل والنموّ))[٤٦]،فهو محيط في بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما يظهر لذا جاء بعدها القسم بالقلم؛ لإبانته للمعارف ولذا كان لاسم السورة ارتباط بمضمونها (بتعيين المهتدي) الذي أُبهم في آخر الملك[٤٧] ، فمقدّمة السورة تبدأ من قوله تعالى: چ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ چ القلم: ١ – ٢، إلى قوله: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ئ چ القلم: ٧، فتحدّثت عمّن أنزل عليه الهدى وصفاته بأنّه ذو خلق عظيم، وأنّه مأجور على صبره أجراً دائماً غير منقطع؛ ممّا أعطى للرسول ﷺ المزيد من القوة واليقين، مقابل وصفها لهذا المكذّب الذي اتّهم الرسول ﷺ بأنّه ضالٌّ عن سبيل الله، ثمّ تمضي السورة؛ لتعرّف بصفات هذا المكذّب وهي: الحلف، المهانة، الهمز، النميمة، منع الخير، الاعتداء، ارتكاب الإثم، مقابلة نعمة الله بكفرانها؛ فهو متّصف بأرذل الأخلاق، وقد قدّم صفة الذمّ (ۋ) على بقية الصفات فرسم صورةً للضالّ برسم الكذّاب، ثم أتبعه الصفات الذميمة الأخرى بعد أن مهّد له التمهيد النفسي الملائم، وقد نكّرت جميع هذه الصفات للتحقير، والتقليل من شأنه [٤٨]، ثم يضرب الله تعالى مثلاً لهؤلاء بأصحاب البستان الذين أبطرتهم النعمة؛ فقرروا المنع ونسوا الله ﷻ، والمكذّبون أبطرتهم النعمة؛ فكفروا وهو مثل لتهديد هؤلاء.

ولعلّنا نجد أنّ حرف النون كانت له إضافة معنى جديد للقصة؛ فهو ثاني حرف من حروف (جنّة) ثم توالي نون الجماعة في هذه القصة مثل: (ٹ، ٹ ٹ ، ڈ ڈ ، ڃ ، چ ، ڈ)؛ فجاءت لتؤكد أنّما عملوه كان عملاً جماعيّاً متّفقاً عليه؛ لذا عاقبهم الله بإزالة هذه الجنة جميعها، ثمّ إنّ هنالك سرّاً آخر في قوله: (ٹ) الذي يمثّل الوقت الذي تدور فيه أحداث القصة، فهم أقسموا على صرم ثمارهم مصبحين، وعندما كشفوا ما فُعِل بجنّتهم كشفوه وهم مصبحون، وعندما أعلنوا توبتهم إنّما كانوا مصبحين، فكأنّ زمن الصبح كان موعداً لهم بالعقاب، حين أهلكت جنّتهم، وبالرحمة حين تابوا إلى الله ﷻ، وقد برزت نون الجماعة هنا أيضاً في:(ڑ ڑ ، ک ، گ، ڻ ، ه ، ھ، ۇ) فدلّت على أنّهم تابوا جميعاً والله أعلم.

ثم عقب ذلك ذكر ربح المتّقين بقوله تعالى: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ القلم: ٣٤؛ فمن تبع هدى الله هو المتّقي، لتأتي فقرة جديدة تبيّن سنة الله في عدم مساواة الكافرين بالمسلمين المهتدين؛ ليأتي أمر الله تعالى بتصبير رسوله ﷺ على أذى المكذّبين فقال: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ القلم: ٤٨ – ٤٩.

وأجد أنّ حرف النون كان له أثر واضح في هذه القصة، فصاحب النون هو بطلها ذو النون (يونس ﭫ) ثم قوله: (ﮆ) ليكون هذا النداء سبباً لنجاته، وقوله: (ﮐ) لتكون المنجية له، وقد مثّل (النون) الحرف الأوّل من كلا الكلمتين كما كان أوّل حرف لـ(نُبِذَ)!

ثمّ قوله: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ القلم: ٥١، فبيّنت حقدهم الشديد على صاحب الدعوة، والهدى، لتأتي الآية الأخيرة لتؤكد بأنّ القرآن هدىً للعالمين فقال تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ القلم: ٥٢.

والملاحظ في أنّ سورة (ق) وسورة (ن) اختتمتا بذكر القرآن الكريم، ففي (ق) قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ ق: ٤٥، وقال في (ن): ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ القلم: ٥٢، وكأنّ الثانية تتمّة للأولى؛ ممّا يدل على أنّ (ق) و (ن) عني بهما القرآن الكريم باعتبارهما أحد حروفه والله تعالى أعلم.

٢. *التناسب بين موضوعات السورة ومحورها:*

إنّ لكلّ سورة محوراً واحداً أو أكثر تدور حوله موضوعات عديدة رئيسة، أو موضوع رئيس واحد، ولها جوّها الخاص الذي يظلّل كلّ موضوعاتها؛ بما يحقق التناسب فيها على وفق وحدة جامعة، وهذا يمثّل مظهراً من مظاهر وحدة السورة القرآنية(٤٩)، وتحقيق تماسك نصّها، فلكلّ سورة أهدافها ومقاصدها ووحدتها الخاصة بها غير وحدة السورة التي تسبقها أو تليها.

وسنتناول بالدراسة سورة النازعات التي تتضمّن محورين أساسيين هما: (حقيقة الآخرة) و (التقوى) وقد انعكست آثارهما على نصّ السورة مع اختلاف الموضوعات التي عرضتها؛ فشكّلا بذلك رابطين عضويين لكلّ موضوعٍ فيها، وقد تمّ اختيار هذين المحورين لاعتبارين هما:

١. بدأت السورة بالأقسام على صفات ملائكة الموت، لأنّ الموت أوّل منازل الآخرة، ثم عرضت السورة موضوع القيامة فتحدّثت عمّا يجري في هذا اليوم، وذكرت تكذيب المكذّبين به، وأكدت أنّ الطاغين جزاؤهم النار، والخائفين من الله ﻷ مصيرهم الجنة فعرفنا سرّ النجاة، وسرّ الهلاك؛ وعرّفتنا ماهية التقوى.

٢. توظيف قصة موسى ﭫ لإنارة محور التقوى، فهي تتضمّن تزكية النفس، وخشية الله ﻷ؛ وذلك يكون بمعرفة الله وعبادته، وجماع هذا كلّه التقوى؛ لأنّها أثر عن معرفة الله تعالى، وزكاة النفس أثر عن معرفة الله وعن تقواه.

وهذان المحوران لا يمكن عزلهما عن سلوك المشركين الذين كذّبوا بيوم القيامة، وموقفهم السلبي تجاه الرسول ﷺ خاصة، والمسلمين عامة، فجاء هذان المحوران متعاضدين مع جوّ السورة التنزيلي؛ فهي ذات طابع مكّي يغلب فيه التهديد والوعيد للمشركين بحربٍ ستشنّ عليهم؛ وهي غزوة بدر، أو فتح مكّة لاسيّما أنّ المسلمين كانوا في ضعفٍ آنذاك؛ فحصل من القسم في مطلع السورة تعريض بعذاب في الدنيا، وهي من دلائل النبوّة فضلاً عن عذاب الآخرة(٥٠).

ويمكن تقسيم موضوعات السورة إلى مقدّمة وتتضمّن أربع عشرة آية وهي قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ النازعات: ١ – ١٤.

ففي هذا المقطع يقسم الله ﷻ بطوائف من الملائكة على مجيء اليوم الآخر، فهم ينزعون أرواح الكفّار من أبدانهم نزعاً، فهم ينزعونها من أقاصي الأبدان، كونها نفوساً غرقت في أجسادهم، مقابل إخراج أرواح المؤمنين برفق، ويسبحون في إخراجها سبح الغوّاص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر؛ فيسبقون بأرواح الكفّار إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة؛ ليدبّروا أمر عقابها وثوابها(٥١)، ((وجواب القسم محذوف تقديره (لتبعثنّ)؛ لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة))(٥٢).

ثمّ يذكر ما يحدث في ذلك اليوم من هون، وذلّة للكافرين، ثم إنّ اختيار اسم (ﯗ) يوحي بالزلزلة، والرجفة، والهول، والاضطراب، فيهتزّ القلب هزّة الخوف والوجل والارتعاش، ويتهيّأ لإدراك ما يصيب القلوب يومئذ من الفزع الذي لا ثبات معه ولا قرار، وهو مشهد يتّفق في ظلّه وإيقاعه مع المطلع الذي يتناوله القسم بالنازعات(٥٣).

وفي هذا القسم تتبيّن مقاصد الآيات وهي:

١. إثبات الصلة بين اليوم الآخر والملائكة؛ فكلاًّ منهما من الأمور الغيبية الواجب الإيمان بها.

٢. تخويف الكفّار من أنّ أرواحهم ستنتزع نزعاً حين الموت، وتطمين المؤمنين بأنّ أرواحهم ستنسلّ برفق.

٣. إثبات الإيمان والتصديق، كون الملائكة سبقت إليهما في قوله:ﭽ ﮘ ﮙ ﭼ النازعات: ٤.

٤. وصف بعض أهوال القيامة، وما يعتري الناس حينئذ من الذهول، وبيان خوف الكافرين وذلّتهم ممّا يثير فيهم مخافة الله وتقواه.

٥. بيّنت إنكار الكافرين ليوم البعث، وأثبتت كينونته، وأبطلت أقوالهم بتعذّر الإحياء بعد انعدام الأجساد.

٦. بيان خسارة هؤلاء المكذّبين في هذه الرجعة.

وختمت الآيات ببيان سهولة خلق ذلك اليوم على الله ﷻ.

أمّا القسم الثاني فيتضمّن إحدى عشرة آية تتحدث عن قصة موسى ﷺ وموقف فرعون معه، وعقوبة الله ﷻ له، وجعله عبرة لمن يتّعظ فقال تعالى: چ□ □ ى ى ې ۀ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈچ النازعات: ١٥ ــ ٢٦.

وفي قوله: (چ ڇ ڇ ڇ چ) قدّم هنا نكال الآخرة؛ لأنّه أشدّ وأبقى؛ فهو النكال الذي يأخذ الطغاة والعصاة بشدّته، وبخلوده، ولأنّه الأنسب في هذا السياق الذي يتحدّث عن الآخرة ويجعلها موضوعه الرئيس(٥٤).

وأهمّ مقاصد الآيات في هذه القصة:

١. التعريف بأنّ دعوة موسى ﷺ تتضمّن تزكية النفوس، وخشية الله.

٢. بيان تكذيب وعصيان فرعون لموسى ﷺ.

٣. التحذير من قضية التكذيب والكفر.

٤. إبراز قضية الدعوة وتقديم الأسلوب الناجح فيها، وهو أسلوب العرض واللين واللطف في القول.

٥. إبراز حقيقة مهمة وهي: أنّ الخشية لا تكون إلاّ بالمعرفة وذلك لقوله: چ ٿ ٹ ٹ ٹچ، أي: ((أدلّك على عبادة ربّك؛ فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً، خاشعاً بعدما كان قاسياً خبيثاً بعيداً عن الخير))(٥٥).

وختمت القصة بقوله تعالى: چ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ، أي إنّ في عقوبة فرعون عبرة لمن يتّعظ وينزجر، ويفهم من مجيء قصة موسى ﷺ وفرعون في هذا السياق؛ أن يثبت بأنّ: وضع هؤلاء المنكرين لليوم الآخر الذين تحدّثت عنهم مقدمة السورة يشبه وضع فرعون وقومه مع موسى، وأنّ هذا الرفض إنّما هو رفض لدعوة الرسل أصلاً.

القسم الثالث: يناقش الكافرين باليوم الآخر، ويقيم عليهم الحجة فيكون تناسيها مع قصة موسى يشير أنّ ما حدث لفرعون؛ درس للكافرين باليوم الآخر، ودليل على مجيء هذا اليوم؛ لأنّ تحقق واحد من وعيدي الرسل دليل على تحقق الوعد الآخر.

ويبدأ هذا القسم بقوله تعالى: چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □ چ النازعات: ٢٧ ــ ٤١.

فابتدأ بالقول: أأنتم يا منكري البعث أشدّ خلقاً وإنشاءً أم السماء؟ فأقام الحجة على منكري البعث من خلال أمر هو: أنّ الكافرين ينكرون البعث لتصوّرهم أنّ ذلك صعب الحدوث؛ فالله يقيم الحجة عليهم بأن خلق السماء والأرض بما فيهما من عظمة، ودقّة، وحكمة أكبر من تصوّر الخلق من إعادة خلق الإنسان، فكيف يستبعدون قدرة الله ﷻ على الإعادة؟!

وبعد ذلك يأتي التقرير ليؤكد بأنّ: القيامة سوف تأتي لقوله تعالى: (ﻫ ﻬ ﻯ ﻰ) لأنّها تطمّ على كلّ أمرٍ هائل مفضع، وتأكيد على أنّها ستأتي فجأة؛ لدلالة (إذا) التي تفيد المفاجأة والمباغتةً.

ومن هذا القسم نتبيّن مقاصد الآيات وهي:

١. أنّ في خلق السموات والأرض لدليلاً على عظيم قدرة الله تعالى. وقوّته، وعزّته.

٢. إثبات قدرة الله تعالى على الإعادة.

٣. بيان السبب في مجيء اليوم الآخر وهو الجزاء على الأعمال بالعقاب، والثواب.

٤. بيان سبب دخول النار وهو الطغيان، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، وهذا تحذير لكل من يتّصف بذلك.

٥. الناهون النفس عن الهوى مصيرهم الجنة.

٦. بيان السبب في خلق السموات والأرض وما بينهنّ؛ هو لمتاع الإنسان وإنعامه.

فالمجموعة فصّلت في موضوع التقوى فأرتنا باعثه وما يناقضه.

وبعد أن عرضت السورة موضوع اليوم الآخر، ووعظت، تأتي خاتمتها لتفنّد فكرة السؤال عن زمن يوم القيامة؛ لأنّ ذلك لا يترتب عليه عمل، بل الحكمة ألاّ يعرف أحد ذلك اليوم؛ ليبقى الناس يعملون، كما أنّ الإجابة عنها ليست داخلة في اختصاص الرسول ﷺ(٥٦).

فقال في الخاتمة التي تتألّف من خمس آيات هي: چ □ □ □ ى ى ي ي □ چ النازعات: ٤٢ – ٤٦.

ومن هذه الخاتمة نتبيّن المقاصد الآتية:

١. تنكر على من يسأل عن وقوع القيامة ويستبطئها؛ فذلك يدلّ على عدم إيمانهم بها.

٢. تؤكد أنّ علم الساعة عند الله ﷻ لا يعلمه أحد غيره.

٣. إنّ الرسول ﷺ إنّما هو منذر لمن يخشى أهوال القيامة.

٤. تؤكد وجوب العمل.

٥. قصر هذه الحياة نسبة إلى الآخرة حتى إنّ الناس يومها يرون مدة حياتهم في الدنيا قصيرة و(□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □).

وفي ختام هذه الموضوعات[٥٧] التي يشكّل فيها جانب الآخرة موضوعاً رئيساً نلحظ أنّ محور التقوى كان له فيها صلة كبيرة، فقصة فرعون تعطينا درساً في التقوى وقد خاطبت السورة في القسم الثالث البشر مذكّرةً إيّاهم بنعم الله التي تقتضي شكره وتقواه، ثم يعود الحديث عن اليوم الآخر بما يحثّ على التقوى؛ فالسورة في سياقها العام تربّي على التقوى.

والملاحظ على أسلوب السورة كثرة استعمال الألفاظ الدالة على القوة، والشدة في وصف الحدث مقابل استعمال الألفاظ الدالة على الضعف، والخوف، والندم للمكذّبين، والتي مثّلت حالهم خير تمثيل أقواله تعالى:

چ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ چ النازعات: ٦ – ٧ (شدة وقوة).

چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ النازعات: ٨ – ٩ (خوف وفزع).

چ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ چ النازعات: ١٠، ١٢ (خسارة وندم).

چ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ چ النازعات: ١٣ – ١٤ (قوة وشدّة ومفاجأة وسرعة في الحصول).

چ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ چ النازعات: ٢٧

چ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ چ النازعات: ٢٩ قوة وشدّة

چ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ چ النازعات: ٣٠

چ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ چ النازعات: ٣٦ شدّة في المعنى ودفعاً بالمشهد إلى كلّ عين.

النتيجة

چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ النازعات: ٤٦

ندم خسارة

من أجل عشية أو ضحاها هم يضحّون بالآخرة التي هي دار القرار؟!

٣. ***التناسب بين القصص وموضوع السورة:***

إنّ القارئ للقرآن الكريم يلحظ أنّ طائفة من القصص القرآني ترد مرّة واحدة في سورة واحدة، مثل قصة يوسف ﷺ ويرد بعضها الآخر في مواطن متعددة بما يناسب سياق السورة؛ ليؤدي وظيفته فيها، وقلّ أن ترد قصة بكلّ تفاصيلها في سورة واحدة، وإنّما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها، وجوّها العام[٥٨]، وذلك لأنّه لم يكن غرض الأقاصيص القرآنية سرد تواريخ الماضين، ولكنّها للعظة والاعتبار.

يقول البقاعي: ((أنّ كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدّعي في تلك السورة استدلّ عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في القصة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيّرت النظوم بالتأخير والتقديم، والإيجاز، والتطويل مع أنّها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكوّنت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها))[٥٩]، لذا تكررت بعض القصص في كلّ مناسبة تستدعي الاستشهاد بها.

وهذا ما أكّده ابن عاشور فقال: ((وفوائد القصص تجتلبها المناسبات، وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعدّ ذكرها مع غرضها تكريراً لها لأنّ سبق ذكرها إنّما كان في مناسبات أخرى))[٦٠]، فالمناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مسار القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدي بها؛ تنسيقاً للجوّ الروحي، والفكري، والفنّي الذي تعرض فيه؛ وبذلك تؤدي دورها، وتحقق غايتها، وتعطي إيقاعها المطلوب[٦١] ؛ فالقرآن يؤدي قصصه مفرّقة على عدّة سور، بأساليب مغايرة أو في سور متقاربة، ولكلٍّ منها مغزىً لا يؤديه غيره فهو يتلاءم مع موضوع السورة وشخصيّتها وكلّ عنصر يذكر فيها يكون مناسباً جداً لهدف السورة وجوّها العام، وهذا مظهر من مظاهر وحدة السورة، وتناسب معانيها[٦٢].

وقد وردت القصص في سور المفصّل على ثلاثة أنواع:

١. قصص الأنبياء وقد تضمّنت دعوتهم إلى قومهم، وعاقبة المؤمنين والمكذّبين؛ كقصة نوح، وصالح، وهود، ولوط، وموسى، (عليهم السلام).
٢. قصص قرآني يتّصل بحوادث غابرة؛ كقصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الجنة، وأصحاب الفيل.
٣. قصص يتّصل بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول ﷺ كـ(انشقاق القمر) و(حادثة الظهار).

ولهذه القصص فوائد أهمّها[٦٣]:

١. تثبيت قلب رسول الله ﷺ، وقلوب المسلمين على دين الله، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وخذلان الباطل.
٢. تصديق الأنبياء السابقين، وإحياء ذكراهم، وتخليد آثارهم.
٣. إظهار صدق محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.
٤. بيان عدله تعالى؛ بعقوبة المكذّبين.
٥. تسلية النبي ﷺ عمّا أصابه من المكذّبين.
٦. تحذير الكافرين من الاستمرار في تكذيبهم؛ فيحلّ بهم مثل ما حلّ بمن قبلهم.

وقد وضع د. بكري شيخ أمين عدداً من خصائص القصة القرآنية أبرزها[٦٤]:

١. تكرار القصة الواحدة.
٢. انتخاب أجزاء من القصة.
٣. الموعظة.

ولتكرار القصص في القرآن الكريم مقاصد وفوائد ذكرها ابن عاشور منها[٦٥]:

١. رسوخها في الأذهان بتكريرها.
٢. ظهور البلاغة: فإنّ تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ، فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق، مع تفننٍّ في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز، واستعارة، أو كناية.. كان من الحدود القصوى في البلاغة ووجه من وجوه الإعجاز.
٣. أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم.
٤. قلّة حفظة القرآن وندرتهم ومن حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معيّنة علم بتلك القصة.
٥. اختلاف حكاية القصة الواحدة لتجنّب التطويل؛ فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع، ويذكر آخر في موضع آخر فيحصل من متفرّق مواضعها في القرآن؛ كمال القصة، أو كمال مقصودها.

وقد تعددت القصص وتكررت في بعض سور المفصّل بشكل واضح[٦٦]، وكلّ سورة منها تجد مجموعة من القصص الموجزة ذات الترتيب البديع، والتناسق العجيب الذي يبيّن مقاصد هذه السور، ثمّ إنّها جاءت متناسبة مع موضوعاتها، ومعبّرة عن تماسكها؛ ففي سورة الذاريات مثلاً بدأت بقصة إكرام النبي إبراهيم عليه السلام لضيفه، وبشارتهم له بغلام عليم، ثم ذكر عقاب قوم لوط ثم قصة موسى، ثم قصة عاد، ثم ثمود، فنوح (عليهم السلام)، وقد جمعت هذه القصص جميعاً في آياتٍ متجاورة، ومتسلسلة بعبارات قصيرة فلا يكاد القارئ يخرج من قصة إلاّ وجد نفسه في أخرى، وهذا الترتيب المتسلسل المتناسب للقصص يعبّر عن تماسك السورة لأنّ إبراز مضامينها يتّفق مع مضامين القصص فيها، كما وتتناسب مع مكّيتها (أي كونها مكّية) وقد تقدّمت قصة إبراهيم عليه السلام؛ لتكون ((توطئة للمقصود من ذكر ما حلّ بقوم لوط حين كذّبوا رسولهم))[٦٧].

وفي تقديم قصة إبراهيم عليه السلام كان للمفسرين فيها أقوال:

● قال الرازي: فيه ((إشارة إلى تسلية قلب النبي ﷺ ببيان أنّ غيره من الأنبياء كان مثله، فاختار إبراهيم عليه السلام؛ لكونه شيخ المرسلين كون النبي ﷺ على سنّته في بعض الأشياء، وإنذار لقومه بما جرى من الضيف، ومن إنزال الحجارة على المذنبين الضالّين))[٦٨].

● وأضاف أبو حيّان قوله: ((وبدأ بقصة إبراهيم ﷺ وإن كانت متأخرة عن قصة عاد هزماً للعرب إذ كان أباهم الأعلى، ولكون الرسل الذين وفدوا عليه جاءوا بإهلاك قوم لوط إذ كذّبوه ففيه وعيد للعرب))[٦٩].

● ويرى البقاعي أنّ الابتداء بقصة إبراهيم ﷺ لمناسبة السياق، فقال: ((وبدأ، لأنّ السياق للمحسنين برأس المحسنين من أهل هذه الأنباء الذي أخبرته الملائكة (عليهم السلام) بما سببه منه، وإن كان على غير العادة))[٧٠] ؛ ذلك بأنّ إبراهيم ﷺ كان أكرم الناس وضيف الكرام مكرمون بطبيعة الحال.

ونرى في الابتداء بقصة إبراهيم ﷺ من المناسبة لما قبلها في قوله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الذاريات: ٢٢، فما بشّر به إبراهيم من الغلام العليم إنّما هو رزق من الله ﷻ ووعدٌ له بأن يكون عليماً؛ وهي بشارة آتية من السماء بوساطة الملائكة.

وقد ارتبطت القصة بالقسم الأوّل من السورة، وفيها قسم على أنّ وعد الله للمؤمنين صادق، وإنّ الجزاء على الأعمال كائن، وذلك في قوله تعالى: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ الذاريات: ١ – ٦، ثم إنّ ((البشارة بمولودٍ يولد بعد يأس كان ذلك يمثّل البعث بالحياة بعد الممات))[٧١]. فهو دليل من الأدلّة على البعث والنشور فجاء مناسباً لسياق الآية، ومناسباً لقوله تعالى: (ﭶ ﭷ)؛ فالسحاب تحمل المطر ثقلاً كما تثقل المرأة بحملها وكأنّها بداية البشارة بالحمل، ومناسباً لقول زوج إبراهيم ﷺ: ﭽ □□ ﭼ الذاريات: من الآية ٢٩، فضلاً عن أنّ المناسبة واضحة في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ الذاريات: ١٥ – ١٩، وكأنّ الآية تفصّل حقيقة نبي الله إبراهيم ﷺ والتي تتضح في إكرامه لضيفه.

فضلاً عن ظهور مناسبة أخرى في قوله: ﭽﮛﮜ ﮝﭼ الذاريات: ٢٠، كون ما بشّر به إبراهيم ﷺ كان آية.

وممّا جاء في عرض القصة قوله تعالى: ﭽﯗﯘﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ □ ﯼ ﯽ ﯾ □ ﭼ الذاريات: ٢٤ – ٣٠.

وما يُعنينا من شأن القصة أنّها جاءت لتؤدي أكثر من مقصد[٧٢]:

١. فيها كلام عن القيام بحق الضيوف وهو نوع إنفاق.
٢. فيها كلام عن قدرة الله التي تعطي العقيم نسلاً.
٣. فيها تحذير من المخالفة.

وهذه المقاصد تربط القصة مع محور السورة في ((تجريد القلب لعبادة الله وتخليصه من جميع العوائق))[٧٣]، لتربي النفس على تقوى الله. ولمّا كان الخليل عليه السلام أعلم أهل زمانه بالأمور الإلهية؛ علم أنّ اجتماع الملائكة على تلك الهيئة التي يراهم فيها ليس للبشارة فقط؛ لذلك استأنف تعالى الجواب لمن كان مسبباً عمّا رأى من حالهم (ﭒ ﭓ)؟ أي: خبركم العظيم، قالوا قاطعين بالتأكيد بأن مضمون خبرهم حتمٌ لا بُدّ منه، ولا مدخل للشفاعة فيه:ﭽﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏[٧٤] الذاريات:٣٢، ألا وهم قوم لوط عليه السلام ولعلّ السبب يعود في إتباع قصة إبراهيم عليه السلام بقصة لوط ـ ابن أخيه ـ (عليهما السلام): للاتصال ما بين القصتين في الزمان، ولمناسبة عذابهم لما أقسم به في أوّل السورة فإنّه تعالى أمر الذاريات فاقتلعتهم بقراهم وحملتها كما تحمل السحاب، ثم كبّتهم فرجمتهم، فارتبطت هذه القصة بالقسم الأوّل من السورة عبر ما اكتنفها من سياقات توحي باتّصالهما معاً لإبراز مضامين السورة في وعيد المشركين من خلال العبرة بالأمم الماضية؛ فالمشركون كانوا في غمرة ساهون فكانوا في تلك الغمرة أشبه بقوم لوط[٧٥].

ثم إنّ الابتداء بذكر عذاب قوم لوط جاء على خلاف الترتيب القرآني لقصص الأمم المكذّبة التي تأتي حسب السبق الزمني بابتدائها بقوم نوح، ثم عاد، ثم ثمود، ثم قوم لوط وكما جاء في سورة (ق) في قوله تعالى: چ ۈ ۇ ۆ ۆ و و ۇ ۇ ۅ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ ق: ١٢ – ١٤.

ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى سياق السورة ففي (الذاريات)؛ قدّم أحقّ القصص الدالة على قسمه، ثم تعرض السورة بعد ذلك أربع قصص متلاحقة وليست منفصلة بسياقات متفرّقة، بل وردت في سياق واحد؛ ((فأعقب قصة قوم لوط بقصة موسى وفرعون؛ لشهرة أمر موسى وشريعته، ولما بينهما من تناسب في أنّ العذاب الذي عذّب به الأمّتان عذاب أرضي؛ إذ عذّب قوم لوط بالحجارة التي هي من طين، وعذّب قوم فرعون بالغرق في البحر، ثم ذكر عاد وثمود وكان عذابهما سماويّاً؛ إذ عذّبت عاد بالريح وثمود بالصاعقة))[٧٦]، ولمّا أتمّ قصص من أهلكوا بما من شأنه الإهلاك أتبعهم قصة من أهلكوا بما من شأنه الإحياء؛ وهو الماء الذي هو جلّ ما يشتمل عليه الحاملات التي أثارتها الذاريات وهم قوم نوح عليه السلام[٧٧]، فقال تعالى: چ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي چ الذاريات: ٤٦، ((وهي إشارة سريعة تلمس القصة لمسة واحدة بدون إيضاح))[٧٨]، وقال: (ى ئا) أي: ((من قبل هؤلاء المذكورين))[٧٩]، لتوثيق السبق الزمني لهذه القصة.

والملاحظ أنّه بعد قصة إبراهيم ولوط (عليهما السلام) تأتي أربع مجموعات مبدوءة بحرف عطف واحد وهو الواو:

چ ئج ئح
ئم ئى ئي چ

چه هچ
چې ېچ

ويرى النسفي أنّ هذه المجموعات معطوفة على قوله تعالى: چگ ں ڻچ (٨٠) الذاريات: ٢٠، وهذا يدلّ على أنّ هذه القصص آيات يراها الموقنون الذين يخافون العذاب الأليم، فيدفعهم ذلك إلى القيام بحقّ الله ﷻ؛ رجاء موعوده.

ومن الملاحظ أيضاً على السياق أنّه لا يطيل في عرض تفصيلات القصص فيمضي على نهاياتها بسرعة، ففي آية فرعون تتجلّى فيها الآية الباقية المذكورة في التاريخ: چ ک گ گ گ گ گچ چ الذاريات: ٤٠، أي مستحقّاً للّوم على ما كان منه من طغيان ومن تكذيب، وكذلك في قوم نوح التي فيها إشارة سريعة وكأنّما يقال: واذكر قوم نوح، لأنّ المراد منها هو التذكرة، والاتّعاظ فحسب، وليس سرداً لتفاصيل لا تهمّ السياق(٨١) ؛ فأخّر الكلام عن قوم نوح على خلاف عادة القرآن؛ ((لما عرف من تجاذب المنسبات فيما أورد من آيات العذاب للأمم المذكورة آنفاً)) (٨٢).

لقد انطوت القصص على جملة من المقاصد والأهداف لتناسب ما بنيت عليه السورة من مقاصد وأغراض مثل:

١. تحقيق وقوع البعث والجزاء.
٢. إبطال مزاعم المكذّبين برسالة محمد ﷺ.
٣. وعيد المكذّبين بعذاب يفتنهم من خلال التعريض بالإنذار بما حاق الأمم التي كذّبت رسل الله.
٤. بيان الشبه التام بين المكذّبين من الأمم الغابرة وبين هؤلاء المشركين.
٥. بيان وجوب الرجوع إلى الله.

وقد أشارت القصص إشارة واضحة إلى جزاء من كذّب الرسل فجاءت هذه القصص مناسبة لما عرضته السورة بعدها من الحديث، فقد ختم القصص بقصة نوح عليه السلام الذي كان إهلاك قومه ((بالماء الذي نزل من السماء، وطلع من الأرض بغير حساب، كان ربّما ظنّ ظانّ أنّ ذلك كان لخللٍ فيهما، ثمّ أصلح بعد ذلك كما يقع لبعض من يصنع من الملوك صنعاً يبالغ في إتقانه فيختلّ))(٨٣)، فقال بما يدلّ على وحدانيّته لتمام القدرة: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ې ې □ □ چ الذاريات: ٤٧ – ٤٩، فهو تعالى: ((يصل آية نوح بآية السماء، وآية الأرض، وآية الخلائق، ثمّ يخلص به إلى ذلك الهتاف بالبشر؛ ليفرّوا إلى الله موحّدين متجرّدين)) (٨٤)، ثم إنّ آية السماء هي مثلٌ على إعادة البعث؛ ذلك لأنّ إعادة الأشياء الفانية نسبة إلى السموات والأرض أكبر من خلق الناس، واستعير لخلق السماء فعل البناء؛ لأنّه منظر السماء فيما يبدو للأنظار شبيه بالقبة، ونصب القبة يدعى بناء، وهذا استدلال بأثر الخلق الذي عاينوا أثره ولم يشهدوا

كيفيّته؛ لأنّ أثره ينبئ عن عظيم كيفيته، وأنّها أعظم ممّا يتصوّر في كيفية إعادة الأجسام البالية[٨٥].

لتجيء الخاتمة وهي قوله تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الذاريات: ٥٦ ــ ٦٠، فبيّنت المقاصد الآتية[٨٦]:

١. إنّ حكمة خلق الخلق هي عبادة الله.
٢. حذّرت الكافرين من عذاب الله في الدنيا والآخرة.
٣. بيّنت أنّ الرزق بيد الله حتى لا يحول طلبه بينهم وبين عبادة الله.
٤. بيّنت أنّ الله غنيّ عن العباد.

لتصل إلى ضرورة الفرار إلى الله الذي لا يفعله إلاّ من عرف آيات الله في الكون والأنفس والتاريخ ولتنتهي بالتذكير والوعيد؛ للوصول إلى التقوى الحقيقية الخالصة لله تعالى.

وتتجسّد ظاهرة الوعيد والاعتبار بالأمم الماضية في هذه القصص على وفق الخطاطة الآتية:

السياق	النتيجة
القصة الأولى: تتحدّث عن قوم لوط وتصفهم بالمسرفين	ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ يا من لا يخاف الله اتّعظ
القصة الثانية: تتحدّث عن شخصية طاغية متكبّرة هو: فرعون وقومه	ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ يا أيّها المكذّبون سيحلّ بكم مثل ما حلّ بفرعون وقومه

القصة الثالثة: تتحدّث عن قوم عاد أهل القوّة، والمصرّون على كفرهم	ﭽ ﮓ ﮓ ں ں ﭽ يا أيّها المصرّون على كفركم سيوشك أن يحلّ بكم من جنس ما حلّ بعاد
القصة الرابعة: تتحدّث عن قوم ثمود الذين أشركوا وكذّبوا وعتوا وأصرّوا على الكفر	ﭽ ﯗ ﯗ ﯘ ﯘ ﭽ أيّها المشركون إن إصراركم على الكفر سيوقعكم في عذاب من جنس ما وقعت فيه ثمود
القصة الخامسة: تتحدّث عن قوم نوح وتصفهم بأنّهم كانوا فاسقين	ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭽ فيا من كذّبتم الرسول اتّعظوا بهلاك قوم نوح

وفي سورة البروج كانت قصة أصحاب الأخدود[٨٧] تمثّل الموضوع المباشر للسورة وقد عرضت من خلالها حقائق العقيدة والإيمان بالغيب الذي يقتضي اختباراً وامتحاناً من الله تعالى، وقد افتتحت السورة بالقسم بقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭽ البروج: ١ – ٣، كمقدّمة لهذه القصة ومناسبة البروج للأخدود أنّه: ((لمّا كانت الأخاديد خطوطاً مجعولة في الأرض مستعرة بالنار أقسم على ما تضمّنها بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي يلوح بها للناظرين في نجومها ما أسماه العرب بروجاً، وهي تشبه دارات متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهّب النار))[٨٨]، ثمّ إنّ القسم بالسماء بوصفها: (ﭒ ﭓ) تتضمّن أمرين معاً:

١. التنبيه على ما في هذه المخلوقات من دلالة على عظيم القدرة.
٢. سعة العلم الإلهي؛ إذ خلقها على تلك المقادير المضبوطة؛ لينتفع بها الناس في مواقيت الأشهر.

ثمّ إنّ السماء التي فيها عرش الله وملائكته تمثّل العدل والحق ممّا يقابل الأرض التي جُعل الإنسان خليفة فيها، فإذا هو يظلم، ويفسد، ويسفك دماء أهل

الحق، وفي السماء الشاهد هو الله تعالى وملائكته، بينما شاهد الأرض الملك الطاغي وأعوانه الجبابرة!

وتلتقي ﭽ ﭬ ﭑ ﭑ ﭒ ﭒ ﭖ ﭖ ﭘ ﭘ ﭼ في: ((إلقاء ظلال الاهتمام والاحتشاد والضخامة على الجوّ الذي يعرض فيه بعد ذلك حادث الأخدود، كما توحي بالمجال الواسع الشامل الذي يوضع فيه هذا الحادث... وهو أكبر من مجال الأرض، وأبعد من مدى الحياة وأجلها المحدود))(٨٩).

ثم تبدأ القصة بقوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ البروج: ٤، و (ﭙ) كلمة غضب تعلن النقمة على أصحاب الأخدود، وتدلّ على شناعة الذنب العظيم الذي أثار غضب الله الحليم ونقمته، ووعيده بالقتل لفاعليه، والأخدود هو الشقّ في الأرض، وكان أصحابه قد شقّوه وأوقدوا فيه النار حتى ملئوه ناراً فصارت النار بدلاً في التعبير من الأخدود؛ للإيماء بتلهّب النار فيه كلّه وتوقّدها؛ فإنّ نار لهبها لا يخمد لأنّ لها وقوداً يلقى فيها كلّما خبت؛ لذا وصفها تعالى بقوله: ﭽ ﭝ ﭞ ﭼ البروج: ٥، ثم تعرض السورة مشهد أحداث القصة في لمحات خاطفة بدون تفصيل ولا تطويل، بل تشير إلى الحادث إشاراتٍ سريعة مع التلميح إلى المقاصد الآتية:

١. عظمة العقيدة التي تعالت على فتنة الناس مع شدّتها والتي انتصرت على النار وعلى الحياة نفسها.
٢. بشاعة الفعلة، وما يكمن فيها من الظلم والبغي.
٣. إعلان براءة المؤمنين وتطهّرهم.
٤. إنّ ما نقموا منهم هو الحقّ الذي لا ينتقمه إلاّ مبطل، وذلك لأنّ سبب هذه النقمة الحقيقي هو أنّهم آمنوا بالله العزيز الحميد؛ وعليه يكون الناقمون أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم يناسب عظمة فعلهم وشنيعه.
٥. إنّ الله شهيد عليهم عليم بما فعلوه وهو مجازيهم عليه.
٦. أنّ الشاهد من الكفّار على هذه الحادثة سيكون مشهوداً عليه يوم القيامة لأنّ موازين الأرض ستتبدّل؛ ليعود الحق إلى نصابه.

ثم ينصبّ السياق على الحديث عن جزاء المؤمنين، والكافرين، وأمثالهم ممّن يفتن المؤمنين عن دينهم، وذلك في قوله تعالى: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ البروج: ١٠ – ١١، ليأتي مقطع آخر يتكلّم عن بطش الله ﷻ وشدّته؛ وفي ذلك تسلية لأهل الإيمان وتهديد لأهل الطغيان. وقد برهن تعالى على بطشه من خلال:

١. التذكير بأسمائه وصفاته وأفعاله.
٢. في فعله بالمكذّبين السابقين.
٣. العذاب الأخروي.
٤. التذكير بمغفرته ليستأنس المؤمنون ويتوب الكافرون.

ثم تشير السورة إشارة خاطفة إلى قصّتين طويلتين ورد ذكرهما كثيراً في القرآن الكريم وهي قصة (فرعون) و(ثمود)، وسمّاهم الجنود؛ إشارة إلى قوّتهم واستعدادهم فقال تعالى: چ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ چ البروج: ١٧ – ١٨، بمعنى: هل أتاك حديثهم، وكيف فعل ربّك بهم؟ ونحن قد عرفنا نهاياتهما في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فأمّا فرعون فقد أهلكه الله وجنده، ونجّى بني إسرائيل، وأمّا ثمود فقد أهلكهم الله جميعاً ونجّى صالحاً عليه السلام، وهما نموذجان لفعل الإرادة وتوجيه المشيئة وصورتان من صور الدعوة إلى الله تعالى تضاف إلى سورة أصحاب الأخدود التي يعرضها القرآن لكلّ مسلم وعلى مدى الزمان ليتوصّل إلى حقيقة:

١. أنّ الكافرين مستمرّون على تكذيبهم.
٢. أنّ الله قادر عليهم دائماً وأبداً.

لتختتم السورة بقوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ البروج: ٢١ – ٢٢، فهو يقرر أنّ هذا القرآن في الدرجة العليا من العظمة في نظمه وإعجازه، وهو محفوظ من وصول الشياطين إليه، وهو أعلى من أن يطاله التكذيب والشكوك، وقد قال القرآن قوله في حادثة الأخدود وفي الحقيقة التي وراءها كما قالها في قصّة فرعون وثمود وكلّ قصصه التي تهدف إلى إظهار الحق، وقد حفظت جميع هذه الأحداث في لوحه المحفوظ لأنّه تعالى لا يترك شيئاً هملاً[٩٠] مصداقاً لقوله تعالى: چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ الزلزلة: ٧ – ٨.

وفي سورة الفيل كانت قصة أصحاب الفيل[٩١] تمثّل الموضوع الأوحد للسورة، والتي عرضت من خلالها المقاصد الآتية[٩٢]:

١. أنّ الله تعالى هو الذي حمى الكعبة لأنّها حرم الله، وهو تعالى لم يرد أن يكل حماية بيته إلى المشركين الذين فرّوا من المواجهة إلى شعب الجبال تاركين القدرة الإلهية تدافع عنه.
٢. إنّ الله تعالى لم يقدّر لأهل الكتاب (إبرهة وجنوده) أن يحطّموا بيته أو يدنّسوه؛ ليبقى هذا البيت عتيقاً، وليحفظ لهذه الأرض حرّيتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرّة طليقة.
٣. تذكير قريش بما ظهر من كرامة الرسول ﷺ عند الله؛ إذ أهلك أصحاب الفيل عام ولادته، وهذا من تدبير الله لنبيّه ودينه.
٤. تثبيت النبي ﷺ بأنّ الله دفع عنه كيد المشركين.
٥. التذكير بقوّة الله وغلبته؛ فلا يغترّ المشركون بقوّتهم ووفرة عددهم؛ لأنّ الله قد أهلك من هو أشدّ منهم قوة.

وقد استفتحت السورة بقوله تعالى: چ ڑ ک ک ک ک گ گ چ الفيل: ١، باستفهام تقريري مستعمل مجازاً في التكريم للنبي ﷺ، والتعريض بكفران قريش؛ إذ لم يزالوا يعبدون غيره، وقوله (ک) جاءت مجزومة؛ للإشارة إلى ((الحثّ في الإسراع بالرؤية إيحاءً إلى أنّ أمرهم على كثرتهم كان كلمح البصر))[٩٣]، والرؤية يجوز أن تكون مجازية مستعارة للعلم البالغ من اليقين في الأمر المرئي بتواتر ما فعل بأصحاب الفيل بين أهل مكة، وبقاء بعض آثار ذلك يشاهدونه، ويجوز أن تكون بصرية بالنسبة لمن تجاوز سنّه نيّفاً وخمسين سنة عند نزول الآية ممّن شهد حادثة الفيل غلاماً أو فتى، وإيثار (ک) دون غيرها من أسماء الاستفهام للدلالة على حالة عجيبة يستحضرها من يعلم تفاصيل القصة، وتذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علمه تعالى وقدرته وعزّة بيته وشرف رسوله ﷺ[٩٤]، وتعريف الله سبحانه بوصف (ربّ) مضافاً إلى ضمير النبي ﷺ؛ إيماء إلى أنّ المقصود من التذكير بهذه القصة هو تكريم النبيّ ﷺ إرهاصاً لنبوّته؛ إذ كان ذلك عام مولده، والتعريض بحقارة الأصنام التي سمّوها أرباباً لهم من دون الله تعالى[٩٥].

ثم تأتي جملة تقريرية أخرى چ گ گ گ گ چ الفيل: ٢؛ فهم قد تعلّلوا بما فعله الكناني لإيجاد سببٍ لحرب أهل مكة وهدم الكعبة؛ لينصرف العرب إلى حجّ القليس؛ فجعل كيدهم مصاحباً للتضليل لا يفارقه بما أفادته (چ) الظرفية هنا، وفيه إشارة إلى أنّ كلّ من تعرّض لشيء من حرمات الله؛ وقع في حرب من الله تعالى؛ لذا فهو تعالى يرسل عليهم طيراً أبابيل لتحقيرهم عن أن يعذّبهم بشيء عظيم؛ لكونهم عظّموا أنفسهم وتجبّروا على خالقهم؛ لذا كان عذاباً على أيدي طيرٍ ترميهم بحجارة صغيرة في المقدار والحجم، كلّ واحد منها مقدار الحمصة أو العدسة وهي حجارة مصنوعة من سجّيل خاصة للعذاب چۀ ہ چ الفيل: ٥، وهو تمثيل لحالهم بعد تلك النضرة والقوة كيف صاروا متساقطين على الأرض متهالكين؛ فأصبحوا كحصيد زرع كان نضراً، فإذا بالبهائم تأكله وتخرّبه بأرجلها وتطرحه أرضاً! وهذا الإهلاك هو من معاني التناسب التقريري في أوّل السورة[٩٦].والملاحظ أنّ قصة أصحاب الفيل لم يتكرر ذكرها في القرآن الكريم وذلك لوجهين[٩٧]:

١. إنّ هلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسولٍ من الله.
٢. ألاّ يتّخذ من المشركين غروراً،أو تكون لهم مكانة عند الله تعالى.

وقد جاءت سورة الفيل مناسبة لما قبلها (سورة الهمزة) وكأنّه لمّا تضمّن الهمز واللمز من الكفرة كيد له ﷺ، أعقب ذلك بقصة أصحاب الفيل؛ للإشارة إلى أنّ عقبى كيدهم في الدنيا تدميرهم، فإن عناية الله برسوله ﷺ أقوى وأتمّ من عنايته بالبيت، وأنّ مالهم وقوّتهم لن تغنيا من الله شيئاً، وجاءت كذلك متناسبة مع السورة التي بعدها (سورة قريش) التي هي امتداد لسورة الفيل حتى لتكاد أن تكونا سورة

واحدة، وبهذا فالسور الثلاث: الهُمَزة والفيل وقريش محورها واحد وهو أنّ الكافرين لن ينفع معهم الإنذار أبداً[٩٨].

هوامش البحث:

(i) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١/ ٤٩٠، وأساس البلاغة: ١/ ٦٢٩، ولسان العرب: (مادة نسب)، والبرهان: ١/ ٣٥، والإتقان: ٢/ ٢٨٩.

(ii) دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة: ١٣.

(iii) ينظر: علم المناسبات القرآنية: ٤.

(iv) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ١/ ٣٥، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٨٩، ودراسات في علوم القرآن: ١٠٤.

(v) دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة: ١٣.

(vi) أطلقت عليه تسميات أخرى مثل: مراعاة النظير، والتوافق، والائتلاف، والمؤاخاة. ينظر: علم البديع: ١٣٨.

(vii) الإتقان: ٢/ ٢٨٨.

(viii) هو أبو عبد الله بن زياد النيسابوري، الفقيه، الشافعي، رحل في طلب العلم إلى الشام والعراق ومصر فسكن بغداد، وكان أفقه المشايخ، وكان حافظاً للأسانيد والمتون. ينظر: البداية والنهاية: ١١/ ١٨٦، وطبقات الشافعية: ١/ ١١١.

(ix) البرهان: ١/ ٣٦، وينظر: الإتقان: ٢/ ٢٨٨ . ٢٨٩، وإعجاز القرآن والبلاغة النبويّة: ١٦٨، وأضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية: ١٧.

(x) ينظر: علم المناسبات في السور والآيات: ٣٧.

(xi) ينظر: علم المناسبات في السور والآيات: ١٨، ٣٨، وجواهر البيان في تناسب سور القرآن: ١٨، وعلم المناسبات في القرآن: ١٨، ٩٣، ودلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة: ٤٣ . ٤٥.

(xii) التفسير الكبير: ١٢١/٧.

[xiii] البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٦، والإتقان: ٢/ ٢٨٨.

[xiv] ينظر: نظم الدرر: ١/ ٧.

[xv] جواهر القرآن: ٦٨.

[xvi] البرهان: ١/ ٣٦، والإتقان: ٢/ ١٨٨.

[xvii] التحرير والتنوير: ١/ ٨٦ .

[١٨] مسند أحمد: ٤/ ١٠٧: ٢٢٢ والبرهان في علوم القرآن: ٢٤٤/١.

[١٩] ينظر: مناهل العرفان: ١٤٤/١.

[٢٠] ينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز:٢٢٢، ومناهل العرفان: ١٤٤/١.

[٢١] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢١٤.

[٢٢] مسند أحمد:٣٩/١٧.

[٢٣] سنن أبي داود:٢٦٢/٧.

[٢٤] ينظر الإتقان:١٧٤/١.

[٢٥] كتاب إعراب ثلاثين سورة من القران العظيم:١١.

[٢٦] تفسير القرآن العظيم: ٢٦٣/٧.

[٢٧] لقد أغفلنا . في هذا البحث . الحديث عن التناسب بين خواتيم السور مع فواتح السور التي تليها، وتناسب فاتحة كل سورة مع خاتمتها، على أن نقدمهما في بحثين آخرين لاتساعهما ولم يتسع المقام لنشرها جميعاً.

[٢٨] ينظر: الأمام البقاعي، جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم: ٢١٠.

[٢٩] دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة: ٥٩.

[٣٠] البرهان: ١/ ٢٧٠.

[٣١] ينظر: نظم الدرر: ١/ ١٢.

[٣٢] ينظر: أسماء السور القرآنية، دلالات وإشارات: ٥٢.

[٣٣] ينظر: م. ن: ٥٣.

[٣٤] ينظر: ينظر: م. ن: ٥١.

[٣٥] ينظر: دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة: ٥٩ . ٦٠.

(٣٦) البرهان: ١/ ٢٧٠.

(٣٧) وهذا ما أكّده الزركشي في كتابه البرهان. ينظر: ١/ ١٦٦، ١٦٩، وينظر: التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٧٣.

(٣٨) نظم الدرر: ٧/ ٢٤٣.

(٣٩) ينظر: م. ن: ٧/ ٢٤٣ . ٢٤٤.

(٤٠) حروف القلقلة مجموعة في كلمتي (قطب جد). ينظر: التسهيل في تجويد التنزيل: ١٦.

(٤١) ينظر: نظم الدرر: ٧/ ٢٤٦.

(٤٢) ينظر: الأساس في التفسير: ٩/ ٥٤٥٣.

(٤٣) الدراسات القرآنية في آثار عائشة عبد الرحمن: ١٩٤ ،(رسالة ماجستير).

(٤٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/ ٥٨.

(٤٥) ينظر: الزركشي، آراؤه وجهوده في علوم القرآن والتفسير: ٤٨٤ . ٤٨٥، (أطروحة دكتوراه).

(٤٦) نظم الدرر: ٨/ ٩٠.

(٤٧) م. ن: ٨/ ٨٩.

(٤٨) ينظر: التعبير الفنّي في القرآن الكريم: ٢٧٧، ٢٨٠.

(٤٩) ينظر: دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة: ٧٨.

(٥٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٥.

(٥١) ينظر: أنوار التنزيل: ٥/ ٤٤٥، وروح المعاني: ١٥/ ٢٢٣.

(٥٢) الأساس في التفسير: ١١/ ٦٣٥٦ . ٦٣٥٧.

(٥٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٠/ ٣٨١٣.

(٥٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠/ ٣٨١٥.

(٥٥) تفسير القرآن العظيم: ٨/ ١٩٩.

(٥٦) ينظر: الأساس في التفسير: ١١/ ٦٣٦٣.

(٥٧) في تقسيم هذه الموضوعات وشروحها ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٠ . ٩٨، وفي ظلال القرآن: ٣٠/ ٣٨١٣ . ٣٨٢٠، والأساس في التفسير: ١١/ ٦٣٥٦ . ٦٣٦٥، والتعبير الفنّي في القرآن الكريم: ٢٧٦ . ٢٨١.

(٥٨) ينظر: دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة: ١٢٥.

(٥٩) نظم الدرر: ١/ ٨.

(٦٠) التحرير والتنوير: ١/ ٦٨ (المقدمة).

(٦١) ينظر: في ظلال القرآن: ١/ ٥٥.

(٦٢) ينظر: التعبير الفنّي في القرآن الكريم: ٢٢٥.

(٦٣) ينظر: مناهل العرفان: ١/ ٣٨٧، والإمام البقاعي ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم: ١/ ٢٥٢.

(٦٤) ينظر: التعبير الفنّي في القرآن الكريم: ٢٢٨.

(٦٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٦٨ . ٦٩.

(٦٦) فقد تكررت قصة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون في السور الآتية: سورة ق، والذاريات، والنجم، والقمر، والحاقة، والفجر.

(٦٧) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٥٦.

(٦٨) التفسير الكبير: ٢٨/ ١٩٦.

(٦٩) تفسير البحر المحيط: ٨/ ١٣٧.

(٧٠) نظم الدرر: ٧/ ٢٧٨.

(٧١) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٥٦.

(٧٢) ينظر: الأساس في التفسير: ١٠/ ٥٥٢٠.

(٧٣) في ظلال القرآن: ٢٧/ ٣٣٧٣.

(٧٤) ينظر: نظم الدرر: ٧/ ٢٧٨ . ٢٨٠.

(٧٥) ينظر التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٥٦،ونظم الدرر: ٧/ ٢٧٨.

(٧٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٩.

(٧٧) ينظر: نظم الدرر: ٧/ ٢٨٤.

(٧٨) في ظلال القرآن: ٢٧/ ٣٣٨٥.

(٧٩) تفسير النسفي: ٤/ ١٨٧.

(٨٠) ينظر: م. ن: ٤/ ١٧٨.

(٨١) ينظر: الأساس في التفسير: ١٠/ ٥٥١٩.

(٨٢) التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٥.

(٨٣) نظم الدرر: ٧/ ٢٨٥.

(٨٤) في ظلال القرآن: ٢٧/ ٣٣٨٥.

(٨٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٥.

(٨٦) ينظر: الأساس في التفسير: ١٠/ ٥٥٢٥.

(٨٧) القصة بإيجاز: أنّ الملك اليهودي (ذو نواس) قد حفر أخدوداً ثم ألقى فيها الحطب والنار فجعل يلقي الذين آمنوا في تلك الأخدود ليحرقهم. (ينظر: التفسير الكبير: ٣١/ ١٠٩ . ١١١، والبداية والنهاية: ٢/ ١٢٩ . ١٣٢).

(٨٨) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٣٧.

(٨٩) في ظلال القرآن: ٣٠/ ٣٨٧٣.

(٩٠) ينظر: المصادر المعتمدة في دراسة السورة: نظم الدرر: ٨/ ٣٧٦ . ٣٨٤، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٣٦ . ٢٥٥، وفي ظلال القرآن: ٣٠/ ٣٨٧١ . ٣٨٧٦، والأساس في التفسير: ٦٤٥٥ . ٦٤٦٤.

(٩١) القصة بإيجاز: إنّ إبرهة (ملك اليمن) بنى كنيسة بصنعاء وسمّاها القليس، وأراد أن يصرف إليها الحجاج، فخرج رجل من كنانة فأحدث فيها ليلاً، فأغضبه ذلك فحلف ليهدمنّ

(٩٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٤٤، وفي ظلال القرآن: ٣٠/ ٣٩٨٠.

(٩٣) نظم الدرر: ٨/ ٥٢٨.

(٩٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٥/ ٥٣٠، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٤٥.

(٩٥) ينظر: البداية والنهاية: ٢/ ١٧٥، ونظم الدرر: ٨/ ٥٢٩.

(٩٦) ينظر: نظم الدرر: ٥٣٢، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٥١.

(٩٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٤٤.

(٩٨) ينظر: روح المعاني: ١٥/ ٤٦٤، ٤٧٠، والأساس في التفسير: ١١/ ٦٦٩٣.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، دار الفكر. لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الفكر. دمشق، ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م، د. ط.

٣. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (١٩٨٩م)، ط١، دار السلام. القاهرة، ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م.

٤. أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات، سيف بن راشد الجابري، ط٢، مكتبة دبي. السعودية، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م.

٥. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (في القرآن الكريم)، الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (٦٦٠هـ)، قدم له: رمزي سعد الدين دمشقية، ط١، دار البشائر. ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط٨، دار الكتاب العربي. بيروت، ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م.

٧. الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، محمود توفيق محمد سعد، ط١، مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)، دار الفكر. بيروت، د. ط، د. ت.

٩. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف. بيروت، د. ط، د. ت.

١٠. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة. بيروت، ١٣٩١هـ.

١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١٩٧٣م)، دار سحنون للطباعة والنشر. تونس، د. ط، د. ت.

١٢. التسهيل في تجويد التنزيل، أحمد خورشيد رؤوف، ط٤، المكتبة العصرية. كركوك، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م.

١٣. التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٩٤م.

١٤. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوّض، ط١، دار الكتب العلمية. لبنان، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

١٥. تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي (٦٠٤هـ)، ط١، دار الفكر. بيروت، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

١٦. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) ، دار الفكر. بيروت. ١٤٠١هـ .

١٧. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، د. ط، د. ت.

١٨. دراسات في علوم القرآن، عبد القهّار داود العاني، ط١، مطبعة المعارف ـ بغداد، ١٩٧٢م.

١٩. دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة، زهراء خالد سعد الله العبيدي، ط١، مؤسسة الواحة ـ الموصل، ٢٠٠٧م.

٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (١٢٧٠هـ)، ضبط: علي عبد الباري عطية، ط٢، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢١. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ـ بيروت، د.ط، د.ت.

٢٢. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (٢١٨هـ أو ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط١، دار الجيل ـ بيروت، ١٤١١هـ.

٢٣. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د.الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب ـ بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٤. علم البديع، د.عبد العزيز عتيق،دار الآفاق العربية ـ القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٥. علم المناسبات في السور والآيات، للدكتور: محمد بن عمر بن سالم بازمول، المكتبة المكية، د. ط، د. ت.

٢٦. في ظلال القرآن، سيد قطب (١٩٦٦م)، ط٣٤، دار الشروق ـ مصر، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٧. كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (٧٣٠هـ)، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

٢٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ)، ط١، دار صادر ـ بيروت، د. ت.

٢٩. المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ـ لبنان، د. ط، د. ت.

٣٠. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط١، دار الفكر ـ لبنان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، خرّجه: عبد الرزاق غالب المهدي، ط٣، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

الرسائل والأطاريح

١. الدراسات القرآنية في آثار عائشة عبد الرحمن، شروق محسن كاطع، رسالة ماجستير، بإشراف: د.قصي سالم علوان، جامعة البصرة ـ كلية التربية، ٢٠٠٦م.

٢. الزركشي آراؤه وجهوده في علوم القرآن والتفسير من خلال كتاب البرهان في علوم القرآن، إبراهيم محمود إبراهيم النجار، أطروحة دكتوراه، بإشراف: د. عبد المجيد محمد السامرائي، جامعة بغداد ـ كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٠٦م.

الدوريات

١. أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمدية ـ دبي، العدد: (١١)، سنة: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢. علم المناسبات القرآنية، موضوعه، تطوّره، مكانته، عبد الحميد غانم، مجلة البيان ـ الكويت، العدد: (٢٠٢)، السنة: (١٩)، ٢٠٠٤م.

٣. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد يوسف الشربجي، مجلة الأحمدية ـ دبي، العدد: (٤)، سنة: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

Conclusion

In the name of Allah, Most merciful, Most Gracious.

The study of the collocation in suras of al Mufassal represents one lesson of the quranic miracle which asserts the coherence and cohesion of verses in the Gracious Quran through three subsections:

Section one, the collocation between the name of the sura and its content (which asserts that the opening of the sura lies in its names, in these opening are some hidden eloquences and we can notice easily and some are an known for us, but Allah knows them, In addition to the magnificent and glorious visions that may add to the holy suras.

Section two, is the collocation between the subjects of the suras and its axises that asserts every sura in the holy Quran has its own axis or more which so many subjects revolve around it, that represents one of the images of the sura and its cohesion, because, it is forming a genuine joint for every subject in it.

Section three, is the collocation between the subjects of the suras and its stories which asserts that every story in the holy Quran has a definite function, every story is suitable for the subjects and the targets, because the purpose of the story in the holy Quran is to show the mankind the right way to follow.

Finally, I pray to Allah to accept my work and consider it for his own sake.